طوينا »ذاكرة الصحافة المغربية» التي ستصدر في كتاب، لنحلق بعيدا في رحاب نفس القطاع، ولكن مع الاختلاف في كون السفر الأول كان في الزمان، رجوعا إلى ماضي المؤسسين، وهذا السفر الثاني هو سفر في المكان بحثا عن بروفايلات ومسارات الصحافيين المغاربة العاملين بالخارج. هم كثر يعدون بالمئات، متألقون، حيث يشتغلون في القارات الأربع وفي أكبر المؤسسات الإعلامية عبر العالم، منهم المدير والمسؤول ورئيس التحرير وكبير المراسلين، ومنهم المحرر والمراسل الحربي والمحلل، لهم حكايات وقصص ومغامرات تستحق أن تروى لتكون شاهدا على أن السؤال الذي نطرحه هنا يبقى مشروعاً: لماذا توجد أنفس الكفاءات الصحافية في الخارج والإعلام هنا في الوطن يئن؟ الجواب في ثنايا هذه الشهادات لكتاب التاريخ اليومي بأقلام سفراء المملكة الشريفة.

عزيزة نايت سي باها

من علوم الرياضيات إلى الصحافة.. مسيرة مغربية في «فرانس 24»

مسارها الدراسي بالثانوية وحصولها على شهادة البكالوريا في العلوم الرياضية لا يرتبطان بواقع مسارها الحالي، الذي اختارته مجانبا لزميلاتها في علوم الجبر والهندسة. عزيزة نايت سي باها أحبت الصحافة وظلت تبحث عن امتهانها إلى أن كان لها ذلك، ابتداء من يومية "لوماتان" وانتهاء بقناة "فرانس 24" حيث تكتب يوميا تها كمغربية ضمن نادي صحافيي العالم المغاربة.

حاورها: مصطفى منصور
mansour.most@gmail.com

أنت حاملة لشهادة البكالوريا تخصص علوم رياضية، كان المسار مهيأ لمجالات الهندسة، ما الذي غير وجهتك صوب الصحافة؟

■ فعلا أنا حاصلة على البكالوريا في علوم الرياضيات، وبدأت مسارا في الدراسات العليا بالمغرب بشعبة «الفيزياء- الرياضيات»، لم تعجبني الكلية، إذ كان من المفترض أن أتابع دراستي بالخارج... وفي فترة الصيف وفي انتظار تغيير المسار نحو وجهة جديدة، التحقت بمجلة تسمى «كيفاش»، كانت في بدايتها آنذاك موجهة للشباب... وهناك كانت أولى خطواتي في الصحافة، ولجت المجلة متدربة ومنذ سنة 1997 لم أغادر المجال.

لتغطية «ماراطون الرمال» كان لزاما أن أتوفر على اعتماد صحفي... بعد بحث طلبت من جريدة «لوماتان» أن أنوب عنهم في الحضور وأغطي هذه التظاهرة لفائدتهم وعلى حسابي الخاص، حتى أتمكن من ضمان الحضور لهذه التظاهرة بصفتي الصحافية. قبل مسؤولو «لوماتان» العرض... وأثنوا على التغطيات التي نشرتها بالجريدة، واقترحوا علي بعدها أن أعمل لصالحهم.

كيف كان العمل في جريدة «لوماتان»؟

■ لم يسبق أن قرأت «لوماتان» قبل التحاقي بها، ويوم اقتراح العمل معهم اقتنيت نسخة للتعرف عليها.

بدأت العمل في القسم الثقافي مع مسؤولة القسم السيدة مريم الزخراجي، التي كان لها الفضل في تلقيني كيفية تأدية مهمتي الصحفية بكل مهنية، بعدما كنت أتواصل معها خلال تغطيتي لـ «ماراطون الرمال».

العمل في «لوماتان» كان خاصا جدا، كان العنصر النسوي شبه مغيب عن الجريدة وإن وجدن ففي أقسام اجتماعية أو ثقافية... الأمر الذي بدا لي مدهشا، فالصحفية كأمثال زملائها قادرة على الكتابة في السياسة ويمكنها تغطية الأحداث الدولية.

وأنا أكتشف نفسي في الصحافة، اكتشفت كذلك الارتباط الوثيق لهذه الجريدة مع الداخلية في شخص الوزير القوي آنذاك إدريس البصري، الذي كان يتصل يوما لمعرفة تفاصيل الأخبار المنشورة في الجريدة ويتوصل بصفحتها الأولى قبل الطبع.

كانت الرقابة الذاتية عالية الحساسية في «لوماتان»، وكان الزملاء، على عهد إدارة عبد الحفيظ الرويسي، يتوجسون من نشر الأخبار دون اطلاع المسؤول الأول في الداخلية عليها.

فهمت بسرعة الوضع الخاص جدا للجريدة، وتوصلت إلى أنها مؤسسة رسمية أكثر منها صحفية.

عزيزة نايت سي باها

فكرت في كيفية تطوير عملي دون المرور عبر قنوات الرقابة الضيقة... وأسست صفحة الأخبار الدولية بالجريدة.

خلال فترة عملي في «لوماتان» ما بين 1997 و2004، حصلت على عطل دون أجرة لأشارك في عدد من المنتديات الدولية في كينيا وكندا وأستراليا وأوربا... كانت تجربة العمل الدولي والاجتماعي تغني ثقافتي وتزيد إصراري على التألق في مهنة الصحافة. التقيت آنذاك بالرئيس الفرنسي جاك شيراك الذي استقبلني مع مجموعة من الشباب الفرنكفونيين بقصر الإيليزي وحدثني عن حبه للمغرب...

بعد الحرب على أفغانستان والهجمات على نيويورك اقترحت إنشاء صفحة للأخبار الدولية في الجريدة لا تعتمد على قصاصات وكالات الأنباء وطعّمت اقتراحي بالعلاقات التي أربطها بصحافيين في كافة أرجاء العالم يمكن أن يتعاونوا مع الجريدة دون مقابل مادي.

وفي نفس الوقت سأوظف مهاراتي اللغوية الإنجليزية والعربية والفرنسية لمتابعة الأحداث الدولية وتقديمها لقراء الجريدة المغربية...

قبلت إدارة الجريدة اقتراحي، كان راتبي آنذاك من بين الأجور الأدنى، تقدم بعض رؤساء الأقسام إلى المدير وحاولوا أن يثنوه عن قبول طلبي، وتساءل بعضهم كيف لشابة في الخامسة والعشرين أن ترأس قسما بجريدة «لوماتان» ذات الانتشار الواسع... رُقيت شفويا ولم أحمل الصفة ولم يتغير راتبي، لم يكن الأمر مدعاة للقلق، فقد كنت كباقي بنات جيلي أعيش مع أسرتي في بيت العائلة، كنت في حاجة إلى الكتابة أكثر من حاجتي للمال.

بعد ثلاث سنوات من العمل في إطار المنتوج الصحفي الدولي، فكرت في البحث عن آفاق أخرى للكتابة عن المواضيع العالمية من زوايا أخرى...

هنا ستغادرين المغرب إلى فرنسا، هل تلقيت عرضا للعمل أم ماذا؟

■ سنة 2004، قررت العودة إلى الدراسة، وكان حلمي منذ الحصول على شهادة البكالوريا الولوج إلى مدرسة العلوم السياسية بباريس... كانت الدراسة في هذا المعهد الشهير أمرا صعبا.

هاجرت إلى فرنسا واعترف بمساري المهني، ما مكنني من التسجيل مباشرة في «ميتريز»، شعبة الصحافة والاتصال تخصص سوسيولوجيا الإعلام.

حصلت على قرض بنكي للدراسة بفرنسا، وكان لزاما أن أشتغل لتسديد أقساط القرض، وأتحمل مسؤوليتي دون مساعدة من عائلتي لأنني كنت أود تحمل مسؤولية هذه التجربة بنفسي، لذلك اتفقت مع جريدة «لوماتان» على أن أمثلها وأراسلها من باريس... وفي نهاية السنة الدراسية اجتزت امتحان الحلم بمعهد العلوم السياسية، وكنت واحدة من ألفي شخص تقدموا للامتحان ولم يكتب النجاح فيه سوى لثمانية في المائة فقط.

هل ولوج عزيزة نايت سي باها لهذا المعهد الشهير سيغير مسارها المهني؟

■ نعم، الدراسة في هذا المعهد غيرت مساري المهني وكملته. انطلاقا من الدراسة تخصصت في المجال السمعي البصري. وأول تجربة مهنية كانت خلال سنتي الأولى للدراسة، حيث عملت صحافية براديو «مونتي كارلو»، إذ كان المعهد يوقع اتفاقيات بموجبها ندرس ثلاثة أيام في المعهد ونشتغل يومين، يوما العمل كنت أقضيهما في «راديو مونتي كارلو» الذي شكل أول تجربة لي بالعربية.

وقبل أن أحصل على دبلوم الماستر في نهاية السنة الجامعية، بعثت بطلب للعمل في «فرانس 24» التي كانت قيد الإنشاء آنذاك، وتوصلت بعرض للعمل في هذه القناة الفرنسية شهرا قبل أن أتوصل بشهادتي الجامعية من معهد العلوم السياسية بباريس.

أنت فرنكفونية الدراسة والعمل، ألم تجدي صعوبة في العمل باللغة العربية؟

■ لا، إطلاقا، فقد كنت أقرأ باللغتين العربية والفرنسية، ومتابعة للمحطات الإخبارية العربية منذ صغري، فضلا عن تشبعي بكتابات ابن عمتي باللغة العربية، وهو شخصية كنت أتجاوب معها بشكل كبير. اسمه حافظ زائر، كان صحفيا بارعا وهو من خلق لدي الولع بهذه المهنة وأهديه كل نجاحاتي حتى اليوم، وقد توفي قبل أن يصبح اسمي معروفا.

لم أكن أدرك مستوى لغتي العربية حتى أصبحت أكتب بها وأتحدثها وأسهر على تقديم الأخبار والبرامج بها.

الفضل كذلك يعود لرئيس تحرير «مونتي كارلو» الدولية سليم بدوي الذي منحني فرصة المرور المباشر في الإذاعة ثلاثة أيام فقط بعد ولوجي للراديو الفرنسي... كانت تجربة موفقة والحمد لله.

الصحفية المغربية تحاور وليد جنبلاط

عملي في مؤسسة فرنسية كان تجربة مغايرة للعمل في المغرب. ما كان ينقصني في العمل في «لوماتان» وجدته في هذه القناة العالمية.

كنت أكتب في الجريدة عن العراق مثلا، وأعلم علم اليقين أن لا أحد في هذا البلد العربي سيقرأ ما كتبت، لكن في القناة الدولية «فرانس 24»، فإن الانتشار الواسع عبر العالم يمنح رغبة كبيرة في مواصلة الجهد في العمل. المنتوج المنشور أو المبثوث على أثير عمومي يبقى محدودا نوعا ما. العمل في مؤسسة ذات بعد دولي أمر مهم، ولا أدل على ذلك من التجاوب الكبير للمشاهدين على صفحات التواصل الاجتماعي من بلدان نائية وأخرى بعيدة...

رسائل وتواصل المشاهدين معي من مختلف بلدان العالم أمر يثلج صدري ويعطيني بعدا جديدا في مهنتي كصحافية.

← ماذا علق بالذاكرة وأنت تنفتحين على العالم السمعي البصري وتحاورين عددا من المسؤولين في المغرب؟

■ أولا أنا لست مسؤولة عن قضايا المغرب بـ «فرانس 24»، وليس لأنني مغربية سأحاور مسؤولين مغاربة.

في برنامج «ضيف ومسيرة» أعد كل سنة خمسين حلقة، سبعة فقط من ضيوفها مغاربة.

← كان من أبرز من حاورت مؤخرا رئيس الحكومة عبد الإله ابن كيران، ما هي كواليس تسجيل هذه الحلقة؟

■ سجلت مع رئيس الحكومة المغربية حوارا بالفرنسية وآخر بالعربية، وأنا من اقترح أن أحاوره...

تفاجأت بحوار عبد الإله ابن كيران، فقد رأيت عددا من حواراته السابقة التي بدا فيها غير متساهل مع الصحفيين إلى «درجة العنف اللفظي».

لم يطلب أن يطلع على الأسئلة وأجاب عنها جميعها، ولم يحاول أن «يتبورد»، كان لقائي به جيدا للغاية، وأبان عن مؤهلات أخرى غير تلك التي يظهر بها عادة...

← ما هي أبرز محطاتك الحوارية في ضيف ومسيرة؟

■ أتذكر كذلك حوارا مهما مع جلال طالباني، وطلبت منه تفسيرا لقرار إعدام صدام حسين يوم عيد الأضحى بتلك الطريقة المهينة. هنا رأيت إنسانا آخر، وشرح لي أنه ضد الحكم بعقوبة الإعدام وتطبيقها، ولم يكن موافقا على إعدام صدام ووقع نور المالكي هذا القرار بعدما رفض طالباني ذلك.

هذه محطة بارزة مازالت راسخة في ذاكرتي. كذلك نشرنا بشكل حصري صورا خاصة للرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر بعد أن نابت عنه ابنته في «ضيف ومسيرة»... كانت حلقة متميزة من الحضور إلى الحديث عن كواليس ما قبل لقاءات عبد الناصر بكبار المسؤولين.

في نفس البرنامج أيضا، حاولت محاورة جمال مبارك، ابن الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك، لكننا لم نتفق حول صيغة التعاون، بعد أن رفضت طلب ديوانه بعدم الحديث عن التوريث في مصر، كما امتنعت عن إمدادهم بالأسئلة المزمع طرحها في البرنامج بناء على طلبهم. لم أعتد ولم يسبق لي أن طرحت أسئلة حواراتي قبل اللقاء المباشر مع الشخصية الضيف.

كان شرطا الاطلاع على الأسئلة وعدم الحديث عن التوريث مرفوضين، لذلك لم أستطع أن أحاور هذه الشخصية المصرية في أوجها، رغم أنني كنت موقنة من نجاح الحلقة مع قبول هذه الشروط.

وأهم ما أتذكر عن أعمالي حول المغرب لم يكن حوارا صحفيا، بل روبورطاجا مطولا حول الاستغلال الجنسي للأطفال بمراكش والصويرة... لم تكن هناك مشاكل خلال التصوير... بل شهدنا ردود فعل حادة بعد بث الروبورتاج، ومن بين المشاهدين من اتهمني بالإساءة لبلدي المغرب، في الوقت الذي لم أقم سوى بعمل صحفي مهني عن واقع معين ويعرفه البعض ويجهله كثيرون... وهنا أشار علي البعض من خلال رسائل على الأنترنيت بأن أجعل الأولوية لمغربيتي قبل المهنية أو مهنة الصحافة. الروبورطاج لقي متابعة كبيرة على الشاشة وفي الشبكة العنكبوتية وحقق نجاحا كبيرا، ولا أدل على ذلك من ردود الفعل الكبيرة جدا.

ومقابل النجاح، حز الواقع الذي تعرفت عليه في نفسي كثيرا، وأعتقد أنها خدمة أقدمها من زاوية عملي الصحفي لمحاربة هذا الشكل من أشكال استغلال الأطفال.

تألمت أيما ألم وأنا ألتقي خلال الإعداد لهذا العمل التلفزيوني مع شاب كان موضوع استغلال جنسي في طفولته، تسبب له في مرض السيدا... اليوم هذا الشاب لا يجد من يهتم أو يتكفل به، ويعيش مهمشا.

لقد قمت بمهمتي الصحفية، وليس مهما أن يتم انتقادي أم لا، أنا أيضا أحب بلدي المغرب، ومهمتي أن أتحدث عنه وأكشف ما خفي من ظواهر تسيء إليه...

قدمت كذلك برنامج ثقافة لمدة 6 سنوات على فرانس 24 وسعدت بلقاء كبار الفنانين من كل أنحاء العالم العربي. سعدت بإجراء حوارات مع الفنانة لطيفة رأفت ورشيد الوالي ومليكة العمري... كذلك حاورت فنانين من قبيل مارسيل خليفة، هيام عباس وراغب علامة. أكثر الفانين تأثيرا فيّ ربما كان علي فرزات رسام الكاريكاتور الذي تعرض للتعذيب في سوريا بسبب رسومه ومعارضته للنظام السوري الذي كسر أصابعه. عندما التقيته تفاجأت بتفاؤله وخفة ظله رغم كل ما تعرض له.

← رافقت الرئيس الفرنسي في زيارته الأخيرة لواشنطن، وقمت بتغطية هذا الحدث، كيف مرت هذه الزيارة بالنسبة لنايت سي باها؟

■ كنت واحدة من مجموعة من الصحافيين الذين رافقوا الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند، وهي أول مرة أكلف فيها بمثل هذه المهمة.

كانت تجربة مهمة، نقلت من خلالها الأحداث مباشرة من قلب البيت الأبيض على المواقع الاجتماعية بالإضافة إلى نقلها لمشاهدي «فرانس 24»...

خلال الزيارة حصلت على معلومات طرية وأنا أسأل الرئيس الفرنسي عن بعض تفاصيل العلاقات الاقتصادية بين شركات من الولايات المتحدة الأمريكية والدولة الفرنسية، وعملت قبل مراسلة الزوال على أن أكون مصدرا للأخبار عوض أن أستهلكها من وكالات الأنباء أو مصادر أخرى.

← كيف ترين واقع النساء المغربيات بعيد الاحتفال بعيدهن في الثامن من مارس الجاري؟

■ أود ونحن في الشهر الذي نحتفل فيه بحقوق المرأة ويومها العالمي في التعبير عن فخري بالمواطنات المغربيات اللواتي أراهن رائدات في كل المجالات الفنية، العلمية، السياسية والحقوقية. وأرى أن المغرب تقدم كثيرا بالنسبة لما كان عليه عندما بدأت عملي كصحفية منذ 17 سنة. لكن لازال أمامنا الكثير لتغيير العقليات والسماح للمرأة المغربية التي طالما تألقت في الخارج بأن تقدم ما لديها لبلدها، خاصة في ظل وجود مغربيات في الخارج على أستعداد للمشاركة في النهوض ببلدهن إذا أفسح لهن المجال لذلك.

نايت سي باها في مؤتمر نسائي

أنا مدافعة باستماتة عن الحيوان

← إضافة إلى اشتغالك في عالم الصحافة، تهتمين بالعمل الجمعوي وتنشطين في مجال حماية الحيوانات، ما القيمة المضافة لهذه الأنشطة لدى نايت سي باها الصحافية؟

■ عملت في عدد من المنظمات الدولية، ونشاطي فيها سمح لي بلقاء كثير من الشباب تعرفت من خلالهم على واقع الحياة في عدد من أقطار العالم.

تعرفت على بشاعة أشياء لا يتخيلها الإنسان ولا يتقبلها العقل، ومثالها حالات ذكرها ناشط في منظمة غير حكومية في الهند يبلغ من العمر 15 سنة، والذي عرّى واقعا مزريا لعمل الأطفال في هذا البلد الأسيوي.

كذلك أنشط بشكل كبير في مجال حماية الحيوان، وأرى أن الاهتمام بهذا الكائن الحي من الأهمية بمكان.

عبر المجتمع المدني، استطعت توجيه عملي الصحفي وإنجاز روبورطاجات بين الفينة والأخرى حول مواضيع نشاطي الجمعوي.

حقوق الحيوانات أمر مهم بالنسبة لبلادنا، رغم وجود مشاكل إنسانية تعنى بها هيئات المجتمع المدني. الناس في المغرب أقل اهتماما بحقوق الحيوانات، ولا أفهم مثلا لماذا لا يفتح ملف لنقاش الواقع المزري لحديقة الحيوانات بعين السبع بالدار البيضاء، التي شهدت موت حيوانات بينما تنتظر أخرى مصيرها وهي تعيش على الجوع والأزبال...

الصحفية المدافعة عن حقوق الحيوان